شَرْحُ كتابِ الرِّقاق

مِن صَحيحِ البُخارِي

أ. أناهيد السميري

اللقاء السادس

أُلقي في ٦ رمضان ١٤٣٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

http://tafaregdroos.blogspot.com/#!/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.

- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد)

http://www.muslimat.net/

- الكمال لله عزّ وجلّ، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

ما تم دراسته من أبواب:

٧) بَاب مَا يُحْذَرُ مِنْ زَهَرَةِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ فِيهَا
من حديث: ((إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ))

٨) بَاب قَوْلِ اللَّهِ تعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ إلى قوله:
﴿مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [اطر:٥، ٦]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

في مجلسنا هذا إن شاء الله نكمل ما ابتدأناه في الكلام حول صحيح البخاري في كتاب الرِّقاق، وقد كنا وصلنا إلى الباب السابع الذي فيه كلام حول ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس عليها.

بدأنا الحديث الأول وانتهينا منه الذي كان فيه وصف لموقف الصحابة مما أتى به أبو عبيدة رضي الله عنه من البحرين وكيف رد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف عليهم الفقر وإنما يخاف عليهم الدنيا، وصلنا إلى الحديث الذي فيه تشبيه لزهرة الدنيا.

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ حَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِنَّ أَكْثَرَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَا يُخْرِجُ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ)) قِيلَ: "وَمَا بَرَكَاتُ الْأَرْضِ؟"، قَالَ: ((زَهْرَةُ الدُّنْيَا))، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: "هَلْ يَأْتِي الْخَيْرُ بِالشَّرِّ؟"، فَصَمَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى ظَنَنَّت أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ثُمَّ جَعَلَ يَمْسَحُ عَنْ جَبِينِهِ فَقَالَ: ((أَيْنَ السَّائِلُ؟)) قَالَ: "أَنَا قَالَ أَبُو سَعِيدٍ"، لَقَدْ حَمِدْنَاهُ حِينَ طَلَعَ ذَلِكَ، قَالَ: ((لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ فَاجْتَرَّتْ وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ وَإِنَّ هَذَا الْمَالَ حُلْوَةٌ مَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ وَوَضَعَهُ فِي حَقِّهِ فَنِعْمَ الْمَعُونَةُ هُوَ وَمَنْ أَخَذَهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ)).

"لَا يَأْتِي الْخَيْرُ إِلَّا بِالْخَيْرِ" كالقاعدة أن الخير لا يأتي إلا بالخير ثم نرى الاستثناءات، يعني كل من عندهم أموال وأتت أموالهم بالشر لهم كأنهم خرجوا عن هذه القاعدة.

"إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ" كأن هذا تشبيه المال بالبقلة التي تخرج من الأرض ولونها أخضر و"حُلْوَةٌ" طعمها حلو، فالأخضر لون زاه والعرب تقول لكل شيء زاه أخضر، وحلوة يعني طعمها حلو، فالمال مثل البقلة التي تخرج من الأرض يكون طعمها حلو ويكون لونها زاه.

"وَإِنَّ كُلَّ مَا أَنْبَتَ الرَّبِيعُ" الربيع المقصود به جدول الماء.

"يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ" هذه الكلمة معروفة عند العرب، يقال حبطت الدابة تحبط حبطًا إذا أصابت مرعى طيبًا فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت. "أَوْ يُلِمُّ" أو يكاد أن يقتلها.

المقصود أن الدابة تأتي فتأكل من هذا الذي ينبته الجدول، فالجدول بالقرب منه تنبت هذه البقلة الخضراء الحلوة، فتأتي الدابة تأكل وتأكل حتى يصل بها الحال أن تموت أو تكاد تموت.

"إِلَّا آكِلَةَ الْخَضِرَةِ" معناه ما أنبت الربيع يقتل الدواب إلا دابة آكلة للخضرة، قيل أن هذه الخضرة غير الأولى، نوع أقل جودة من النبات.

"أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَدَّتْ خَاصِرَتَاهَا" جانبي البطن من الحيوان، يعني أكلت حتى شبعت.

"اسْتَقْبَلَتْ الشَّمْسَ" ذهبت لمنطقة فيها شمس المعنى أنه جاءتها الحرارة والحرارة تساعدها على أن تجتر وتقوم بعملية الإخراج.

"فَاجْتَرَّتْ" استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغة يعني مثل الجمال أعادت ما أكلت من الطعام

"وَثَلَطَتْ وَبَالَتْ" عملية الإخراج، يعني أخذت ما ينفعها وأخرجت ما لا ينفعها، "ثُمَّ عَادَتْ فَأَكَلَتْ".

والمعنى أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت فتحيلت في دفعه، تأكل ثم تشعر أنه ثقيل فتتحيل في دفع هذا بأن تجتر فيزداد نعومة ثم تستقبل الشمس فتحمي بها فيسهل خروجه فإذا خرج زال الانتفاخ فسلمت وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك فإن الانتفاخ يقتلها سريعًا.

إذن التشبيه واضح في أن المال كنبات الأرض والآدمي الذي يحصّل هذا المال كأحد هاتان الدابتان إما يقتله جمع المال وإما يتصرف التصرف السليم ويخرجه فيكون عليه خير أو العكس يحبسه فيكون عليه وبال.

قال الأزهري: هذا الحديث إذا فرق لم يكد يظهر معناه وفيه مثلان:

أحدهما للمفرط في جميع الدنيا المانع من إخراجها في وجهها- يعني المثل الأول الذي يقتل حبطًا كالشخص إذا فرط في جمع الدنيا وأيضًا منع إخراجها في وجهها هذا الأول الذي يقتل - وهو ما تقدم أي الذي يقتل حبطًا.

والثاني المقتصد في جمعها وفي الانتفاع بها وهو آكلة الخضر فإن الخضر ليس من أحرار البقول التي ينبتها الربيع ولكنها الحبة والحبة ما فوق البقل ودون الشجر التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول – المهم أن نفهم أنه أقل جودة - فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلا لمن يقتصد في أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ولا منعها من مستحقها فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلة الخضر، وأكثر ما تحبط الماشية إذا انحبس رجيعها في بطنها.

يعني كانحباس المال وعدم إخراجه في حقه.

يقال أن هذا الحديث فيه تمثيل لثلاثة أصناف لأن الماشية إذا راعت الخضر بالتغذية إما تقتصر منها على الكفاية وإما تستكثر إذا اقتصرت على الكفاية أكلت فقط ما يكفيها تصبح مثل الزهاد وإذا أكلت زيادة تنقسم قسمين إما أنها تحتال على إخراج ما في بطنها فهذا مثل من أكل زيادة أي أخذ مال زائد لكنه أنفق وإما يهمل هذا فيكون سبب في موتها هي وفي وباله هو بالنسبة للرجل.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَمْرَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي زَهْدَمُ بْنُ مُضَرِّبٍ قَالَ: سَمِعْتُ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)) قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ قَوْلِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ((ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ وَيَنْذُرُونَ وَلَا يَفُونَ وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ)).

واتفقنا أن هذه الصفات كلها بسبب **الطمع في الدنيا**.

أيضًا الحديث الثالث:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ يَجِيءُ مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَتُهُمْ أَيْمَانَهُمْ وَأَيْمَانُهُمْ شَهَادَتَهُمْ)).

وتبين لنا أيضًا أن البعد عن أنوار النبوة (العلم) يسبب ضعف الإيمان وإذا ضعف الإيمان زاد الطمع في الدنيا.

يأتي بعد ذلك حديث خباب رضي الله عنه:

حَدَّثَنَا وَكِيعٌ حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ عَنْ قَيْسٍ قَالَ سَمِعْتُ خَبَّابًا وَقَدْ اكْتَوَى يَوْمَئِذٍ سَبْعًا فِي بَطْنِهِ وَقَالَ: "لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمْ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ"

خباب رضي الله عنه عاش مع النبي صلى الله عليه وسلم ومع الصحابة الزمن الذي كان فيه ضيق ثم فتح الله عز وجل على المسلمين الدنيا فانفتحت لهم فأتى الخير، وخباب في هذا الموقف قد مرض واكتوى وقال: "لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانَا أَنْ نَدْعُوَ بِالْمَوْتِ لَدَعَوْتُ بِالْمَوْتِ" ليس من أثر المرض وإنما من أثر ما وجد من زهرة الدنيا وانفتاحها ولذلك قال: "إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَضَوْا وَلَمْ تَنْقُصْهُمْ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ" يعني لم تنقص أجورهم ولا انفتحت عليهم ولا وقع في قلوبهم الطمع بها.

"وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ الدُّنْيَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ" سيتبين من الرواية الثانية ما هو المقصود:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى حَدَّثَنَا يَحْيَى عَنْ إِسْمَاعِيلَ قَالَ حَدَّثَنِي قَيْسٌ قَالَ أَتَيْتُ خَبَّابًا وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ فَقَالَ إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا لَمْ تَنْقُصْهُمْ الدُّنْيَا شَيْئًا وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ شَيْئًا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ"

وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ: يعني يبني بناء.

قيس مرّ على خباب رضي الله عنه وهو يبني: فَقَالَ: إِنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ مَضَوْا" أي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم "لَمْ تَنْقُصْهُمْ الدُّنْيَا شَيْئًا" يعني لا من أجورهم ولا من آمالهم وأطماعهم وإنما كانت آمالهم وأطماعهم للآخرة.

"وَإِنَّا أَصَبْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ شَيْئًا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إِلَّا التُّرَابَ" بقرينة البناء يقصد التراب أنه البناء، أصبحت الأموال بدلًا من أن ينتفعوا بها و يأكلوا ويشربوا أصبحوا يضعوها في التراب، وإن شاء الله سيأتي هذا في الباب الذي بعده.

نقرأ الباب الثامن:

بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} إلى قوله: {مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر:٥، ٦]
جَمْعُهُ سُعُرٌ، قَالَ مُجَاهِدٌ: الْغَرُورُ الشَّيْطَانُ

حَدَّثَنَا سَعْدُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرَشِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي مُعَاذُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَنَّ حُمْرَانَ بْنَ أَبَانَ أَخْبَرَهُ قَالَ أَتَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ بِطَهُورٍ وَهُوَ جَالِسٌ عَلَى الْمَقَاعِدِ فَتَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ وَهُوَ فِي هَذَا الْمَجْلِسِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: ((مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)) قَالَ: وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لَا تَغْتَرُّوا))!

نناقش هذا الحديث ونفهم معناه وهو مناسب لحال الناس في كل زمان.

عثمان رضي الله عنه وصف وضوء النبي صلى الله عليه وسلم، فمن توضأ مثل وضوء النبي وقد جمع مقصده على امتثال أمر الله وعلى متابعة سنة النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ما وراء ذلك من الأجور لأنه معلوم من توضأ مع آخر قطرة من الماء تسقط ذنوب المتوضئ.

"مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ" يعني جمع قلبه فيها وكان خاشعًا.

"ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ " لكن النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا الخبر قال: "لَا تَغْتَرُّوا"، فالمقصود أن قد يسمع الإنسان عن فضائل الأعمال، عن فضائل الذكر، عن فضائل بعض الصدقات، عن فضائل رمضان، عن فضائل يوم الجمعة، فيظن أنه لو فعل هذا وترك الفرائض أو ترك عمل القلب أن مثل هذه الأعمال تغفر له ذنوبه!

والصحيح أن مغفرة الذنوب لا تأتي إلا لمن أتى بشروط ثلاثة:

◄ أول شرط وأهمه **الإيمان**.

فيكون العبد معه إيمان قوي بالله وبلقاء الله عز وجل، بحيث أن يكون هذا العبد قويّ الإيمان يشعر بصدق محبة الله، ويشعر بصدق إرادة رضا الله عز وجل، يتوجه إلى الله، فهذا أول شرط لحصول الثواب ومضاعفة الثواب من وراء الأعمال "الإيمان" فليس مجرد الأعمال خالية من الإيمان أو من ضعيف الإيمان يأتي من ورائها الأجور، وهذا الشرط موجود في كتاب الله عز وجل وواضح أن الإيمان شرط لسلامة الأجور، بمعنى أن ضعف الإيمان أو نقصه أو فقدانه هذا كله يسبب أن الإنسان لا ينتفع من الأعمال التي وصفت للخلق أنها تضاعف حسناتهم، من أجل أن تضاعف الحسنات ويكسب الإنسان مثل هذه الأجور المترتبة لابدّ أن يكون معه إيمان.

◄ الأمر الثاني: **استحضار قلبه** أثناء قيامه بالعمل، لأن عبدًا توضأ وهو لاه وصلى وهو لاه والعبد لا يكتب له من عمله إلا ما عقل، يعني ما عقلك معه وأنت واع فإذا كنت تنتظر مثل هذه الأجور لابدّ أن تكون واعيًا.

◄ الأمر الثالث: لابد أن نعلم أن مغفرة الذنوب المقصودة هنا ليست الكبائر، إنما **الكبائر يشترط فيها التوبة**، وهذه المقصود بها الصغائر ولما نقول الصغائر لا تستهين لأن هذه الصغائر لو اجتمعت على عبد أهلكته، وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم وشبّه الصغائر في حديث بقوم نزلوا واد وأرادوا أن ينضجوا لهم طعامًا فأتى هذا بعود وهذا بعود ووضعوه وأشعلوا النار فأنضجت طعامهم فهكذا الذنوب الصغائر يأتي من هنا ويأتي من هنا صغائر حتى تهلك صاحبها.

مرة أخرى الثلاثة شروط:

الشرط الأول الإيمان وقوته؛ وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في وصف الصحابة مقارنة بين فعل الصحابة وفعلنا؛ لما وصف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه (لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ)[1] فمدّ أحدهم أو نصيفه يساوي منا صدقة مثل جبل أحد وقد ورد في الحديث أنه لو تصدق أحدكم مثل جبل أحد ذهبًا ما بلغ مدّ أحدهم أو نصيفه، يعني هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وألحقنا بهم وجمعنا بنبينا صلى الله عليه وسلم إذا تصدق أحدهم بمدّ أي بمقدار الكفّ، أو نصيفه أي نصف، مدّ أو نصف من البر، تصدقنا مثل جبل أحد ذهبًا نحن لا نبلغ مدّ أحدهم أو نصيفه والسبب **الإيمان وقوته** هو سبب تحصيل الأجور المترتبة.

فلما تسمع هذا الحديث "مَنْ تَوَضَّأَ مِثْلَ هَذَا الْوُضُوءِ ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ" قال النبي صلى الله عليه وسلم "لَا تَغْتَرُّوا"، يعني لا تجعل بهذا الحديث وتتكل على بعض الأعمال فتظن أنه قد غفرت ذنوبك ثم تفعل ما تريد! لا بالعكس، مثل هذه الأحاديث لابدّ أن تفهم أنها تنفعك وتكون من أهلها لما يقوى إيمانك، لأنه لما يقوى إيمانك تعمل الأعمال اليسيرة السهلة فتأخذ عليها الأجور.

الأمر الثاني: وقت ما تقوم بالعمل اجمع قلبك على إرادة المغفرة، ليس لك من أي عمل إلا ما عقلته، فلو كان قلبك تائه وقت الوضوء ووقت الصلاة فوقت الوضوء لم تتوضأ وأنت ممتثل لأمر الله وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم تنتظر تكفير الذنوب، عملك لا تؤمر بالإعادة فيه أبدًا، لا تؤمر أن تعيد الوضوء فوضوؤك مجزي والحمد لله تصلي به لكن لا تطمع لما هو أعلى منه وهو **كفارة الذنوب**، ومن أجل أن تركّز في هذا الأمر قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا" ما قال من صام رمضان غفر له إنما قال: "مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا" فدائمًا الشرطان معنا من أجل أن تحصل الأجور، "إِيمَانًا " يعني بقدر إيمانك تكون مغفرة الذنوب والأجور المترتبة على أي عمل.

فلمّا تسمع أي شيء فليعلم أن فضائل الأعمال تشترط هذان الشرطان والثالث خاص بهذا الحديث:

أن المغفرة التي تأتي في مثل هذه الأحاديث فضائل الأعمال إنما هي مترتبة على إيماناً واحتسابًا وبعدها تكون كفارة للصغائر وليس للكبائر، ولما نقول الصغائر وليست الكبائر فالصغائر بنفسها مشكلة عظيمة فلا تظن أن الصغائر شيء غير مهم.

---

[1] متفق عليه

إذن خرجنا بفائدة من الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لَا تَغْتَرُّوا"، المقصود لا تغتروا بفضائل الأعمال فتغركم عن الأعمال التي هي بمثابة الواجبات، يعني يأتيك مثلًا من الأحاديث ((مَنْ صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأَرْبَعًا بَعْدَهَا، حَرَّمَ اللهُ لَحْمَهُ عَلَى النَّارِ))[٢] فيكون تركيزي في هذه النافلة ويضعف تركيزي في الفرض، فبهذا تنقلب علي المسألة، المفروض أني في البداية اهتم بالفرائض وبعد الاهتمام بالفرائض من جهة أخرى أهتم بالامتناع عن المحرمات ثم تأتي النوافل.

وعلى هذا سنرى حالنا في رمضان؛ كثير ما يهتم الناس بالتراويح وبصلاتها وفي صلاة العشاء يقل التركيز فيها ومثله في صلاة الفرائض الأخرى، احتسابك الصيام في نهار رمضان أهم بكثير من بقية الأعمال النافلة، يعني عليك دائمًا بالعناية بالفرائض. الإيمان أولًا ثم الفرائض ثم بعد ذلك تأتي النوافل، وحتى لو فعلت النوافل عليك أن يسبق خوفك رجاءك وإن كنا نجمع بين الاثنين، يعني النبي صلى الله عليه وسلم لما يقول: "لَا تَغْتَرُّوا"، يعني ارجو من الله أن يقبل طاعاتكم لكن لا يصل في قلوبكم الأمر أنك فعلت وفعلت وفعلت قبلت.

حال الذي لا يغتر بفضائل الأعمال:

◄ أولًا: **إيمانه** أي تصديقه بالغيب، فلمّا يقف في الصلاة فإنه يقف بين يدي الله، فيعتني بلقاء الله عز وجل فيكون كل تفكيره وهو هنا في الدنيا سألقى الله يوم القيامة، فالدنيا مزرعة والآخرة الحصاد.

◄ الأمر الثاني: يعتني بما الله عز وجل عليه من جهة **الفرائض** وبما نهاه الله عز وجل من جهة المحرمات.

◄ الأمر الثالث: يأتي بعد ذلك أن العبد إذا قام بالفرائض أو النوافل يهتم **بالاحتساب**، الاحتساب يعني يكون قلبه موجود أثناء قيامه بالعمل، يعني لا يفلت منه قلبه أثناء الصدقة، أثناء الطاعة، أثناء الصيام، ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، والله عز وجل مطلع على القلوب وعلى صدقها، والغفلة موجودة لكن كل الجهاد في أن يبقى قلبك في عبادتك.

ولذلك قال سُفْيَان الثَّوْرِيّ: "يُكْتَبُ لِلرَّجُلِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقِلَ مِنْهَا"[٣] يعني إلا من كان موجود عقله معه ماذا يفعل سواء كان يسمع القرآن أو كان يتلوه أو كان يركع أو يسجد يكون قلبه معه.

إذن هذه ثلاثة أمور:

الأولى: الإيمان.

ثانيًا: يهتم بالفرائض.

ثم الأمر الثالث: أن يكون محتسبًا يعني أن يكون في نفس الأمر يقوم بالعمل كما ينبغي.

◄ الأمر الرابع: من أجل أن لا نغتر لابدّ من **طلب القبول** لأن ليس كل عاملٍ مقبول، ولذلك نصوم ونرجو من الله أن يقبلنا ولا نحكم حكمًا جزمًا أن الله عز وجل قبلنا، إنما نصوم ونرجو من الله أن يقبلنا، نتصدق ويكون أكثر شغف في قلوبنا أن يقبلنا ولكم في ذلك سنة في إبراهيم عليه السلام فقد ائتمر بأمر خاص به وهو تطهير البيت ووجه له هذا الأمر خاصة

---

[٢] رواه أحمد في مسنده، إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح

[٣] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا" [قال الألباني]: حسن.

وأمره الله عز وجل وبعد ذلك بعدما ائتمر بهذا الأمر قال: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ فإذًا معنى ذلك هذا من الأمور التي لابد أن يكون أمر ملح في النفس أن هذا ما يفعله الضعيف الفقير إلى ربه العاجز فيرجو من القوي القادر القريب المطلع أن يقبل منه ضعيف عمله، ومعنى ذلك أننا نرجو من الله القبول لكننا لا نجزم لأنفسنا أبدًا ولا نغتر.

◄ الأمر الخامس: من أجل أن لا نغتر أنه بعد نهاية الأعمال مسنون **الاستغفار** كما هو مسنون بعد نهاية الصلاة، تقول استغفر الله ثلاثًا، إذًا مع الأعمال الصالحة يبقى القلب خائفًا أن لا يقبل فيستغفر، يعني الرجاء أن تسأل الله القبول، الخوف يسبب لك الاستغفار.

انتهى اللقاء السادس ولله الحمد